

## الشرق الأوسط رابعاً في أولويات بايدن... وإيران الامتحان الأصعب

د. علي دريج\*

### المقدمة

تُعدّ قضايا دول الشرق الأوسط إحدى أعقد قضايا السياسة الخارجية التي على إدارة الرئيس الأمريكي القادم جو بايدن أن يتعامل معها باهتمام خاص، حتى وإن لم تكن هذه الإدارة الديمقراطية الجديدة بعيدة عنها بحكم تجربتها الطويلة معها في عهد إدارة الرئيس الأسبق باراك أوباما.

أما السبب في هذه العقد، فيعود إلى كونها تتعلّق بواحدة من أكثر البيئات العالمية تأزّماً في صراعاتها وأزماتها وتوتراتها، التي لم تتوقف منذ غرس الكيان الغاصب في قلب المنطقة العربية، حيث يواجه العديد من دولها خطر التفكيك والتمزيق والغرق في بحر من الفوضى ستؤدّي إلى المزيد من النزاعات الأهلية والحروب الداخلية المسلّحة.

من المرجّح أن تشهد السياسة الخارجية للإدارة الديمقراطية الجديدة تجاه الشرق الأوسط جملة من التغييرات، مختلفة إلى حدّ ما عن تلك شهدتها خلال إدارة الرئيس دونالد ترامب، لكونها مثّلت قطيعة - حسب رؤى الديمقراطيين - مع سياسات أمريكية تقليدية للولايات المتحدة تجاه المنطقة؛ فضلاً عن أنها - بحسب تقديرهم - أخفقت في حماية الأمن القومي والمصالح الأمريكية بالمنطقة، وزادت من حدّة انعدام الاستقرار والأمن الإقليمي بالشرق الأوسط، وفاقمت أزماته وتحدياته.

بالمقابل، يُجادل الرئيس ترامب أن السياسة الخارجية لإدارته خصوصاً في الشرق الأوسط، حقّقت في غضون السنوات القليلة الماضية، نجاحات أكثر ممّا حقّقه أسلافه على مدى عقود من الزمن، لا سيّما بعد توقيع "اتفاقيات أبراهام" الأخيرة، التي دشّنت لمرحلة جديدة من العلاقات بين عدد من الدول الخليجية والعربية مع «إسرائيل»، والتي تؤكد حصول واقع متغيّر في المنطقة.

\* باحث في القضايا الإقليمية وأستاذ جامعي.

## أولاً: بايدن ومحاولات تحسين صورة أميركا ودورها القيادي العالمي

لا شك أن العالم الذي سيرثه بايدن بعيد كل البعد عن العالم الذي خبره عن قرب عندما كان نائب الرئيس، وخلال فترة التسعينيات حينما ترأس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ. فنظرية الأحادية التي لطالما التصقت بأميركا أضحت من التاريخ؛ الصين، بلغة البنتاغون، منافس شرس. كما أنه يمكن للقوى الأخرى، الكبيرة والصغيرة، بما في ذلك روسيا وإيران وكوريا الشمالية، أن تُحبط بسهولة الطموحات الأمريكية. نادراً ما بدت بيئة التعاون الدولي أكثر صعوبة بالنسبة لأميركا كما هو الحال الآن .

مراراً وتكراراً قال الرئيس المنتخب إن هدفه الأساسي في الخارج هو إعادة الأمريكيين إلى "رأس الطاولة". لكن شكل هذا الجدول تغيّر بشكل عميق. لقد كشف الوباء العالمي (كورونا) حدود العولمة والدبلوماسية المتعددة الأطراف وسرّع من زوال النظام الدولي الليبرالي الذي أنشأته أميركا وكرّس قيادتها له<sup>1</sup>. كما أدى أيضاً إلى تقاوم الاتجاهات الموجودة مسبقاً لناحية المنافسات الجيوسياسية المتجددة، وزيادة الحساسيات بشأن السيادة الوطنية وقضايا مثل أمن الحدود، إلى الاقتصاد والرعاية الصحية .

واقعاً، سترأس الرئيس بايدن أميركا المريضة جسدياً، والأضعف اقتصادياً، والأكثر استقطاباً سياسياً وثقافياً ممّا كانت عليه في أيّ وقت في نصف القرن الماضي. إذا أراد أن ينجح في الخارج ، فسوف يحتاج إلى إقناع عالم متشكك بشدة يتساءل عن استقرار أميركا وتماسكها السياسي وقدرتها على القيادة. وهذا يعني أن المهمة الأولى للرئيس الجديد ستكون إصلاح البيت الأميركي الذي صدّعته سياسات ترامب الداخلية والخارجية. سيواجه بايدن أربع أزمات مترابطة بشكل لا ينفصل: جائحة مستعرة، اقتصاد متهالك كشف عن تفاوتات اجتماعية واقتصادية وطبقية عميقة وكبيرة، والاستقطاب السياسي السام، كما أشار جورج باكر في مجلة ذي أتلانتيك، والذي "أظهر أن أميركا أصبحت دولتين؛ وحكومة شديدة الانقسام واختلال وظيفي".

<sup>1</sup> إيربرا بليت آش، مراسلة وزارة الخارجية الأمريكية، كيف سيغيّر جو بايدن السياسة الخارجية لأميركا؟ موقع بي. بي. سي. العربي، 17 تشرين الأول 2019. <https://www.bbc.com/arabic/>

في المحصلة، لا يمكن لبايدن حلّ أيّ من هذه التحديات بسهولة أو بسرعة. فهو يمتلك الأدوات اللازمة ليكون معالجًا رئيسيًا فعّالًا، لكن كل مهمة من هذه المهام الشاقة ستختبر مدى كفاءته في إصلاح صورة أميركا التي هشمها ترامب .

### ثانياً: الفريق الدبلوماسي السياسي والأمني لبايدن

لم تمنع الأزمة الانتقالية التي يواجهها المرشح الديمقراطي الفائز بالانتخابات الأميركية، جو بايدن - والمتمثلة بتمنّع الرئيس الحالي دونالد ترامب عن التسليم بالهزيمة - من حسم قرار اختياره لفريقه السياسي والأمني والدبلوماسي.

اختار الرئيس المنتخب مستشاره القديم أنتوني بلينكين كوزير للخارجية، والذي كان قد شغل وظائف دبلوماسية وأمن قومي منذ إدارة الرئيس بيل كلينتون، ومن ضمنها منصب نائب وزير الخارجية في عهد الرئيس باراك أوباما.

تخرّج بلينكين من جامعة هارفارد ومن كلية الحقوق بجامعة كولومبيا<sup>2</sup>. وعندما كان بايدن عضواً في مجلس الشيوخ، عمل بلينكين كمدير لفريقه في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ قبل مغادرته للعمل في حملة بايدن الرئاسية لعام 2008. كما شارك بلينكين في تأسيس شركة WestExec Advisors، وهي شركة إستراتيجية سياسية، مع ميشيل فلورنوي، إحدى كبار مسؤولي البنتاغون في عهد أوباما.

يُنظر إلى بلينكين في جميع أنحاء واشنطن على أنه شخص مؤهّل تأهيلاً عالياً لهذا المنصب، حيث يشير اختياره ليكون أكبر دبلوماسي أمريكي إلى أن هدف بايدن، المتمثل في تعيين أشخاص ذوي خبرة في مناصب وزارية رئيسية، هو العودة إلى استراتيجية السياسة الخارجية التي تعطي الأولوية للتحالفات، على عكس سياسات الرئيس ترامب القائمة على "أمريكا أولاً". وهو ما عبّر عنه بايدن من خلال قوله في مؤتمر صحفي "لقد مررنا بالكثير من الضرر خلال السنوات الأربع الماضية، من وجهة نظري. نحن بحاجة إلى

<sup>2</sup> بايدن يسلم السياسة الخارجية والأمن القومي لفريق أوباما، موقع روسيا اليوم العربي، 24 تشرين الثاني 2020 . <https://arabic.rt.com>

إعادة بناء مؤسساتنا وقوتنا العاملة لنعكس القوة الكاملة والتنوع في بلدنا. نحن بحاجة إلى التركيز على الاستعداد لكل ما قد يأتي<sup>3</sup>.

يمتلك بلينكين، وهو مسؤول محترف في السياسة الخارجية، شبكة علاقات عالمية مترامية الأطراف. ومن المتوقع أن يقود جهود الولايات المتحدة لإعادة الانضمام إلى الاتفاقيات الدولية، مثل اتفاقية باريس للمناخ والاتفاق النووي الإيراني، حيث كان قال في تصريحات لـ CNN العام 2017: "أنه وفي حال ألغى الاتفاق النووي مع طهران، فإن إيران ستبدأ مجدداً ببناء وتطوير ترسانة نووية محتملة، وسيضطر الرئيس الأمريكي المقبل إلى بذل جهود كبيرة لتوحيد صف المجتمع الدولي في سبيل مواجهة هذا الأمر". وتابع: "نحن الآن في هذا الوضع؛ وسحب الثقة من الاتفاق النووي سيُنهى أي وحدة في الصف الدولي بعد جهود مُضنية بذلناها للتوصل لذلك".

وأشار بلينكين حينها إلى: "أن إيران ستقوم بالضبط بما تريد القيام به، وهو إبعادنا عن شركائنا الأوروبيين، عداك عن الروس والصينيين واليابانيين وغيرهم؛ هذا (قرار ترامب) عمل ليس له داعٍ من وجهة نظري".

علاوة على ذلك، تضمنت تصريحات بلينكين آنذاك إشارات لافتة ومهمة فيما يخص نظرتَه إلى العلاقة مع كل من إيران والسعودية، إذ قال: "ما لا نريد (لأمريكا) القيام به في الوقت الحالي هو كما يلي؛ الرئيس ترامب كان يتحدث عن إنشاء حلف ناتو عربي عندما كان في السعودية. والآن (مع الأزمة القطرية) نرى مدى صعوبة ذلك، لأن هناك دول لديها مصالح مختلفة".

وأضاف: "حلف ناتو عربي يعني بالنسبة لنا جبهة موحدة ضد تنظيم داعش، إلا أن السعودية تراه جبهة ضد إيران، وسيحبوننا (أمريكا) إلى الانقسام السنّي - الشيعي، ويجبروننا على الوقوف بأحد الصفوف، وهذا ليس مكاناً جيداً لتتواجد به الآن"<sup>4</sup>.

<sup>3</sup> محمد المنشاوي، فريق "أوبامي" لعالم "ترامبي".. كيف يتعامل الجمهوريون مع اختيارات بايدن؟ موقع قناة الجزيرة القطرية، 26 تشرين الثاني 2020. <https://www.aljazeera.net/>

<sup>4</sup> المرجع ذاته.

من جهة ثانية، من المرجح ان يكون موقف بليكنين من الصين أكثر صرامة؛ وهذا ما عكسته مقابلته مع تلفزيون بلومبيرج في تموز الماضي، إذ اعتبر أن "أول شيء هو أن نتخلص من العجز الاستراتيجي الذي وضعنا فيه الرئيس ترامب. لقد ساعد الرئيس ترامب الصين على تحقيق أهدافها الاستراتيجية الرئيسية ."

وتابع بليكنين إن بايدن "سيعزز الدفاعات عن ديمقراطية تايوان من خلال فضح جهود بكين للتدخل. المفارقة هي أن تايوان كانت قصة نجاح على مدار العقود الماضية من حيث كيفية تعامل الولايات المتحدة والصين معها."

وكان بايدن قد اجتمع بخبراء دفاع واستخبارات ، بما في ذلك بليكنين وآخرين ممن عملوا مع أوباما عندما كان بايدن نائباً للرئيس ، لأن إدارة ترامب منعتهم من الحصول على المعلومات الاستخباراتية الممنوحة تقليدياً للرئيس المنتخب.

اللافت أن بليكنين يحظى بتأييد اللوبي الصهيوني، حيث ورد اسمه في موقع إلكتروني أميركي تابع للوبي، كمرشح يهتم المجتمع اليهودي والمؤيد لإسرائيل.

وعلى خط مواز، عمد بايدن إلى تعيين جيك سوليفان، أحد أقرب مساعدي وزيرة هيلاري كلينتون سابقاً، مستشاراً للأمن القومي لبایدن، وليندا توماس جرينفيلد سفيرة أميركا لدى الأمم المتحدة .

ويُعدّ منصب مستشار الأمن القومي للرئيس أحد أهم وأكثر الوظائف تأثيراً في البيت الأبيض، حيث يقود فريقاً من عشرات الخبراء من الوكالات العسكرية والدبلوماسية والاستخباراتية التابعة للحكومة، الذين يطوِّرون السياسة الخارجية والعسكرية للولايات المتحدة<sup>5</sup>.

أما السفيرة جرينفيلد، فكانت جزءاً من عملية تطهير لكبار مسؤولي وزارة الخارجية عندما تولّى ترامب منصبه. وهي تعمل حالياً مستشارة أولى في مجموعة البرايت ستونبريدج في واشنطن.

---

<sup>5</sup> نسرین قسنطيني، جو بايدن... الديمقراطي الذي خبر السياسة الأمريكية يفوز بمفاتيح البيت الأبيض، موقع فرانس 24 العربي، 7 تشرين الثاني 2020. <https://www.france24.com/ar/>

تقاعدت جرينفيلد مؤخرًا بعد 35 عامًا من العمل في السلك الدبلوماسي الأمريكي، حيث شغلت من العام 2013 إلى 2017 منصب مساعد وزير الخارجية لمكتب الشؤون الأفريقية. وبهذه الصفة، قادت مكتبًا في وزارة الخارجية يركّز على تطوير وإدارة سياسة الولايات المتحدة تجاه إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. قبل هذا التعيين، شغلت جرينفيلد منصب المدير العام للسلك الدبلوماسي ومدير الموارد البشرية (2012-2013)، وقادت فريقًا من حوالي 400 موظف تعاملوا مع مجموعة كاملة من وظائف متعددة في وزارة الخارجية تعود لحوالي 70.000 فردًا - وتشمل التعيين والتوظيف والتقييم والترقية والتقاعد<sup>6</sup>.

### ثالثًا: استراتيجية بايدن في مقاربة الملف النووي الإيراني

يمكن القول إن إيران ستكون إحدى أولويات السياسة الخارجية لإدارة بايدن القادمة. كان الهدف من اغتيال رئيس منظمة البحث والتطوير في وزارة الدفاع الإيرانية الشهيد محسن فخري زادة، في 27 تشرين الثاني الماضي، والذي نفّذته «إسرائيل»، تقويض إمكانية حدوث انفراج سريع بين الولايات المتحدة وإيران بمجرد تولي الرئيس المنتخب جو بايدن منصبه. في المفهوم الاستراتيجي، الاغتيال يُعدّ جزءاً من حملة الأرض المحروقة من قبل بنيامين نتنياهو ودونالد ترامب لجعل من الصعب على إيران قدر الإمكان استئناف المفاوضات مع إدارة بايدن والعودة إلى الاتفاق النووي لعام 2015.

لا شك أن الأسابيع الأخيرة من إدارة ترامب ستكون حاسمة، ليس فقط لنتنياهو ولكن أيضًا لمعارضين آخرين للاتفاق الإيراني، بما في ذلك حلفاء مثل السعودية والإمارات. تقود التقارير الكثيرة عن اتصالات رفيعة المستوى بين البيت الأبيض لترامب ونظرائه في «إسرائيل» والسعودية إلى فكرة وجود جهود منسّقة لإحداث أزمة تحزّب دبلوماسية بايدن قبل أن تبدأ؛ ثمّة إشارات تدلّ على ذلك؛ زيارة بومبيو «إسرائيل» مؤخرًا، ووجود صهر الرئيس جاريد كوشنر في الشرق الأوسط (تشرين الثاني 2020) للقاء القادة السعوديين. من هنا، فإن توقيت هذه الزيارات يثير تساؤلات حول الصفقات السريّة التفجيرية المحتملة خلال الوقت الأميركي المستقطع.

<sup>6</sup> ليندا توماس غرينفيلد: دبلوماسية من أصول إفريقية سفيرة بايدن إلى الأمم المتحدة، موقع إذاعة مونت كارلو الدولية 24 تشرين الثاني 2020،

<https://www.mc-doualiya.com>

عملياً، ستكون مهمة بايدن الأولى والأكثر أهمية عند تولّيه منصبه نزع فتيل هذه الأزمة النووية. وللقيام بذلك، سيتعيّن عليه تجاوز المنطقة الآمنة ليكرّر ببساطة رغبته في استئناف الاتفاق النووي مع إيران<sup>7</sup>.

لقد كانت سياسة إدارة ترامب، المتمثلة في ممارسة "أقصى ضغط" على إيران، بمثابة إفلاس كامل. لم توافق إيران على إعادة التفاوض بشأن اتفاقية ذات قيود أكثر صرامة على برنامجها النووي، وهي تمتلك الآن 12 ضعف كمية المواد التي يمكن استخدامها في صنع الأسلحة عندما تم توقيع الاتفاق النووي مع إيران في عام 2015. إضافة إلى ذلك، لم تتوقف برأي الديمقراطيين ما يسمّونه "الأنشطة" الخبيثة لإيران في المنطقة. وأيضاً، لم تقم بتقليص برامج الصواريخ الباليستية؛ والأهم أن العقوبات لم تُسرّع في انهيار النظام .

أصبحت الولايات المتحدة أكثر عزلة دبلوماسية من أي وقت مضى عن حلفائها، ولم تؤدّ العقوبات على إيران إلى النتائج المتوخاة بعدما تمكنت طهران من زيادة عائدات النفط بالتهرب من العقوبات. كما أن جهود الإدارة الفاشلة لعزل إيران منحت الصين وروسيا فرصة ذهبية لإقامة علاقات أوثق مع طهران.

لقد حفرت إدارة ترامب حفرة عميقة لإدارة بايدن بشكل يصعب عليها الخروج منها، وذلك من خلال التهديد بتشديد العقوبات على طهران كلّ أسبوع، حتى 20 كانون الثاني 2021 . يريد بايدن إعادة التفاوض على شروط الاتفاق النووي، والتركيز على أنشطة إيران الإقليمية وبرنامجها الصاروخي؛ لكن الفرص لأن توافق الحكومة الإيرانية على طرح هذه القضايا على الطاولة معدومة، لاسيّما بعد اغتيال زاده. السياسة المتعلقة بالمسألة النووية محيرة: لن يكون لإيران مجال للمناورة قبل الانتخابات الرئاسية الإيرانية في حزيران 2021؛ وفي ذات الوقت، يُكمل الكونغرس الأمريكي سياسة فرض عقوبات على أنشطة إيران غير النووية، والتي سيكون من الصعب إزالتها<sup>8</sup>.

بالنظر إلى هذه التحديات، وإذا كان بايدن جاداً بشأن رغبته في تخفيف حدّة مخاطر الصراع مع إيران ، فسيتعيّن عليه تقديم تنازلات. النتيجة الأكثر واقعية التي يمكن أن تتوقعها إدارته هي اتفاقية "التجميد من أجل التجميد" (أي تجميد العقوبات مقابل تجميد التخصيب)، يليها في وقت لاحق مفاوضات حول اتفاقية أكثر

<sup>7</sup> Yossi Kuperwasser, The United States and the Iranian Policy of Escalation, Jerusalem Center for Public Affairs - Israeli Security, Regional Diplomacy, and International Law, November 2020. Jerusalem Center For Public Affairs (jcpa.org).

<sup>8</sup> Ibid.

شمولاً. سيكون تحقيق هذا الهدف الأكثر تواضعاً أمراً صعباً سياسياً ، لأنه قد يتطلب من الإدارة تقديم تخفيف جزئي للعقوبات مع السماح لإيران بإجراء بعض الأنشطة المحظورة بموجب الاتفاقية النووية لعام 2015. علاوة على ذلك ، ليس من الواضح بأي حال من الأحوال أن إيران معنيّة بالتجميد المؤقت ، أو أنها ستوقف تخصيب اليورانيوم أو تخفض مخزونها من هذه المواد.

قد ترغب الإدارة الجديدة في استكشاف طرق أخرى لتهدئة التوترات مع طهران ، مثل تقديم المساعدة الإنسانية، أو إنشاء قناة خلفية لمناقشة تدابير بناء الثقة ومنع الصراع المحتملة. إذا كان بايدن سيحقق أي نجاح كرئيس ، فعليه أن يُظهر استعداداً لمحاربة أولئك الذين يحاولون تقويضه<sup>9</sup>.

#### رابعاً: بايدن وقواعد اللعبة الإسرائيلية - الفلسطينية المتغيرة

أسهمت سياسات الرئيس دونالد ترامب في الشرق الأوسط بشكل كبير في تغيير قواعد اللعبة في المنطقة، على الصعيدين الفلسطيني والإقليمي.

كان التغيير الرئيسي الآخر هو نقض إدارة ترامب للمطالبة بعدم الاعتراف بسيادة «إسرائيل» على الأراضي التي استولت عليها في حرب الأيام الستة. كما اعترفت الولايات المتحدة بسيادة «إسرائيل» على مرتفعات الجولان، وشرعت أحقيّة مطالبة «إسرائيل» بالسيادة على القدس الشرقية و 30 في المائة من يهودا والسامرة، بما في ذلك غور الأردن.

قواعد اللعب الأخرى التي تغيّرت خلال ولاية ترامب هي رفض المزاعم بأن المستوطنات الإسرائيلية في يهودا والسامرة كانت غير شرعية أو غير قانونية، وأن الاتفاق سيتطلب إخلاء بعض المستوطنات، وأن الترتيبات الأمنية التي سيتم وضعها في المستقبل بين «إسرائيل» والكيان الفلسطيني المستقبلي ستكون على أساس المسؤولية الفلسطينية عن الأمن. ما حصل أن الولايات المتحدة اعترفت بشرعية الاستيطان الإسرائيلي في

---

<sup>9</sup> Ibid.



يهودا والسامرة ، وبالاحتياجات الأمنية لإسرائيل، والتي تتطلب السيطرة الإسرائيلية على غور الأردن، وبتولي «إسرائيل» المسؤولية الأمنية في المنطقة بأكملها.

الغريب أنه بعد انتخاب بايدن تنهّدت السلطة الفلسطينية الصعداء، إذ يعتقد قادتها أن الضغط عليهم سوف يتضاءل في ظل إدارة بايدن. ولكن هؤلاء يعون جيّداً أنه يتعيّن عليهم التعامل مع الواقع الجديد والقواعد الجديدة التي فرضتها ادارة ترامب. ولهذا أعلنوا أنهم سيستأنفون التنسيق الأمني والمدني مع «إسرائيل» (وهم استأنفوه)، دون أن تُعلن «إسرائيل» أنها تتنازل عن نيتها بسط سيادتها على أجزاء من يهودا والسامرة.

أكد بايدن ومستشاروه أن أهدافهم الاستراتيجية لا تختلف عن أهداف الإدارات السابقة، وفي مقدّمتها تعزيز أمن «إسرائيل»، واستمرار المساعدة الأمنية والحفاظ على التفوق العسكري النوعي لإسرائيل، ومحاربة نزع الشرعية عنها، والترويج لاتفاق للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني على أساس صيغة الدولتين - حتى لو كانوا متشكّكين في إمكانية إحراز تقدم كبير نحو هذا الهدف<sup>10</sup>.

لكن في الواقع ، فإن الإدارة الجديدة، وبالنظر إلى الواقع المتغير في الشرق الأوسط ، سوف تتأثر بمجموعة متنوعة من القيود. يبدو أن الجوانب المهمة لقواعد اللعبة الجديدة لا رجوع فيها، ولا سيما تطبيع العلاقات بين «إسرائيل» والدول السنّية البراغماتية، التي ربما قدّمت لإسرائيل أضعاف ما كانت تحلم به. على سبيل المثال، في الاتفاقية مع الإمارات العربية المتحدة، اعترفت الإمارات بوجود شعب يهودي لأول مرّة، وهو يتعارض بشكل واضح مع لاءات جامعة الدول العربية .

وأكثر من ذلك، من غير المحتمل (وإن لم يكن مستحيلاً تماماً) أن تتجاهل الإدارة الجديدة قانون تايلور فورس (الذي يقطع المساعدات عن السلطة الفلسطينية بسبب مدفوعاتها لعائلات الشهداء والأسرى بذريعة قيامهم بأعمال إرهابية)، وتجدد المساعدات المالية للسلطة. وقد يدفع هذا الأمر مسؤولو السلطة لإجراء

<sup>10</sup> إنترسبت: الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.. هل يُصلح بايدن ما دمّرهُ ترامب، موقع قناة الجزيرة القطرية، 14 تشرين الثاني 2020. <https://www.aljazeera.net>.

تغييرات في نظام المدفوعات للشهداء والأسرى لتجنّب هذا القانون ، وذلك بتشجيع من نشطاء الحزب الديمقراطي المتعاطفين.

إضافة إلى ذلك، يبدو أن بايدن سيمتنع عن إعادة السفارة الأمريكية إلى تل أبيب، أو إلغاء الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وبمرتفعات الجولان كجزء من «إسرائيل». وفي حال بقي مجلس الشيوخ تحت سيطرة الجمهوريين ، فسيجد بايدن صعوبة أكبر في مساعدة الفلسطينيين، على الرغم من الضغوط المتوقعة من «المعسكر التقدمي» في حزبه.

بالمقابل، قد يقوم بايدن بتجميد أو إلغاء مبادرة ترامب للسلام، والعودة إلى الإشارة إلى المستوطنات في المناطق على أنها غير شرعية أو تفنقر إلى الصلاحية القانونية (بلغه قرار مجلس الأمن رقم 2334 ، والذي سمحت إدارة أوباما بتميره). قد يعيد بايدن تبني خطة أوباما- كيري للسلام 2013-2014 ، والتي تضمّنت مفهومًا آمنًا خطيرًا بالنسبة لإسرائيل ("خطة ألين" ، والتي من بين عيوبها العديدة إيجاد وحدة من القوات الخاصة الفلسطينية مجهزة بطائرات هليكوبتر).

على أيّ حال، من المحتمل أنه على الرغم من موقف بايدن المتعاطف مع «إسرائيل»، فإنه سيُظهر موقفًا أكثر انتقادًا تجاهها، خصوصاً بالمقارنة مع ترامب<sup>11</sup>.

### خامساً: بايدن وتقويم العلاقات مع السعودية

في عهد دونالد ترامب، حظيت العربية السعودية بكل الاهتمام والدعم وعضّ الطرف عن جرائمها وارتكاباتها وأفعالها الإرهابية. لكن، بعد انتخاب بايدن، كانت العربية السعودية واحدة من الدول القليلة التي انتظرت فترة طويلة إلى حد ما حتى هُناؤه بفوزه في الانتخابات . أصدر الملك سلمان ونجله، ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، بياناً عبر وكالة الأنباء السعودية، أشادا فيه بالرئيس المنتخب بايدن ونائبته كامالا هاريس، بعد أكثر من 24 ساعة من وضوح فوز بايدن.

<sup>11</sup> نبيل عمرو، بايدن والتسوية الفلسطينية - الإسرائيلية، موقع صحيفة الشرق الأوسط السعودية، 12 تشرين الثاني 2020.

<https://aawsat.com/>

وعد بايدن بـ«إعادة تقييم» علاقة أمريكا الممتدة مع السعودية، والتي انحرفت في عهد ترامب، خاصة بعد مقتل الصحفي جمال خاشقجي والحرب في اليمن. اعترف ترامب في وقت لاحق للصحفي بوب وودوارد قائلاً إنه "تمكن من إنقاذ ولي العهد السعودي بعدما تمكن من إقناع الكونجرس بتركه وشأنه". كما استخدم ترامب حق النقض ضد قرار في الكونجرس من الحزبين كان سيُنهي دعم الولايات المتحدة للحرب التي تقودها السعودية في اليمن، والذي بدأ خلال فترة إدارة أوباما<sup>12</sup>.

يقول نيل كويليام، زميل مشارك في تشاتام هاوس في لندن، إن "القيادة في السعودية تشعر بالقلق من قيام إدارة بايدن والكونجرس بإجراء مراجعة كاملة للعلاقات، بما في ذلك إعادة تقييم العلاقات الدفاعية". ويضيف أنه "يتوقع أن أول ما ستفعله إدارة بايدن هو الإشارة لاستيائها من السياسات السعودية الداخلية والخارجية. لذلك، لم يكن مفاجئاً تحوُّط الرياض وانتظارها لفترة قبل تهنئة بايدن على انتخابه، نظراً لأن ترامب رفض بعناد قبول النتائج بادية الأمر، وسط صرخاته الزائفة حول «سرقة الانتخابات»؛ لكنه في النهاية سلم بحقيقة النتائج رغم امتعاض حلفائه في السعودية والإمارات .

تبدو السعودية وكأنها أوّل اختبار كبير لسياسة بايدن الخارجية. لقد وعد بـ«حشد الديمقراطيات في العالم»، وأوضح أن أمريكا لن تتخلى عن مبادئها مرة أخرى لمجرد شراء النفط أو بيع الأسلحة.

في عام 2016، عندما بدت خسارة ترامب أمام هيلاري كلينتون محتملة، وقبل كل الصخب التي أثارته رئاسة ترامب، جادل مايكل وحيد حنّا، في مقال لـ *Worlds Politics Review*، بأن "الوقت قد حان لواشنطن لإعطاء الأولوية للحلفاء الآخرين في الشرق الأوسط". وكتب قائلاً إن دعائم استراتيجية الأمن الإقليمي لأمريكا في الشرق الأوسط، كمصر والسعودية، يعتبرون في الواقع من العوامل الرئيسية لعدم الاستقرار؛ وفي كثير من الحالات تقوّض المصالح الأمريكية. وبدلاً من ذلك، يجب على الولايات المتحدة أن تنتظر إلى شركاء لديهم إرادة وقدرة، وبالتحديد العراق والإمارات العربية المتحدة<sup>13</sup>.

## سادساً: إدارة بايدن وتراجع الاهتمام بالشرق الأوسط

<sup>12</sup> الولايات المتحدة ودول الخليج.. هل ينتهي شهر العسل بمجيء بايدن؟ موقع دويتشه فيله الألماني بالعربي، 9 تشرين الثاني 2020.

<https://www.dw.com/ar>.

<sup>13</sup> المرجع ذاته

من المؤكد أن مرتبة الشرق الأوسط ستخفض في عهد بايدن. أحد كبار المستشارين -الذي طلب عدم ذكر اسمه حتى يتمكن من التحدث بصراحة عن الحملة- يتوقع أن يكون الشرق الأوسط "رابعًا بعيدًا" في ترتيب الأولويات، بعد أوروبا ومنطقتي المحيطين الهندي والهادئ وأميركا اللاتينية. ومع ذلك، يتمتع بايدن بعلاقات عميقة مع المنطقة، ومن غير المرجح أن يدير ظهره للقادة والدول الذين عمل معهم عن كثب لأعوام.

يمثل العراق بالنسبة لكل من التقدميين والواقعيين في أميركا، المثال الكامل للمستنقع الذي تحتاج الولايات المتحدة إلى تخلص نفسها منه تمامًا. يعتقد بايدن، وفقًا لمساعدته السابق، أن العراق "لديه فرصة للحيلولة دون صعود كبير ومفاجئ للجهاديين، وأن يكون مبشرًا بشرق أوسط أقل استقطابًا وأكثر تعددية، إذا فهموا الأمور بشكل صحيح". من المحتمل أن يعمل بايدن أيضًا على تقوية العلاقات الأميركية مع الدول المعتدلة مثل الأردن، الذي كاد يُدهس تقريبًا في اندفاع ترامب لاحتضان العرب الأثرياء<sup>14</sup>.

ربما تكون أفضل طريقة للتفكير في تطلعات بايدن هي القول إنه سيسعى إلى تطبيع العلاقات الأميركية مع الشرق الأوسط. ولن يكون بصدد طلب الشيء نفسه الذي طلبه أوباما، لكنه لن يتسامح مع ما يتسامح معه ترامب أيضاً. ومن غير المرجح أن يرفع سقف التوقعات أو يحطّمها؛ لن يسحب جميع القوات الأميركية من العراق أو سورية أو من شبكة القواعد الأميركية حول المنطقة، لكنه سيكون حذرًا جدًا عندما يتعلق الأمر بنشرها في خضم حرب أهلية. وإذا كان محظوظًا، فسوف يحقّ حلم العديد من أسلافه بعدم إيلاء المنطقة اهتمامًا أكثر مما تستحق.

من المتوقع أن تعتمد الإدارة الجديدة نهجًا موحّدًا فيما يتعلق بملفات المنطقة مقارنة بإدارة ترامب، التي غالبًا ما كانت أهدافها عشوائية واجتهادية. سوريا غابت بشكل ملحوظ عن حملة بايدن الانتخابية، على الرغم من وجود القوات الأميركية على الأرض. لم يقل فريق بايدن الكثير بشأن هذه القضية سوى أنه لن ينسحب من سوريا.

<sup>14</sup> مايكل سينغ و سينان أولجن، بايدن لا يسعه تجاهل أردوغان، لكن باستطاعته إبقاء العلاقات الأميركية-التركية على المسار الصحيح، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى بالعربي، 17 تشرين الثاني 2020. <https://www.washingtoninstitute.org/ar>

من المرجح أن يحافظ بايدن إلى حد كبير على نهج مماثل: كإبقاء على وجود عسكري صغير في شمال شرق سوريا (وإن كان ذلك مع دعم أكبر لقوات سوريا الديمقراطية التي يهيمن عليها الأكراد ، والتي تخلى عنها ترامب إلى حد كبير)، إضافة إلى دعم العملية السياسية للأمم المتحدة، وإبقاء على العقوبات على سوريا.

قد يُقدّم بايدن دعمًا عسكريًا متجددًا لحلفاء أميركا في سوريا والعراق لمنع عودة "داعش". وهذا بدوره سيعزّز هذا الوجود الأمريكي المستمر في سوريا والعراق ، وسيُحمّل الأوروبيين مسؤولية أكبر<sup>15</sup>.

أكثر من ذلك، يعي بايدن أن الضغط الاقتصادي الأمريكي الأقصى ضدّ إيران وحلفائها، بما في ذلك في العراق ولبنان، يمكن أن يضعف، حيث تُظهر الإدارة اعترافًا أكبر بالتأثير المزعزع للاستقرار على هذه البلدان وهو تحوّل يجب أن يشجعه الأوروبيون أيضاً.

بالنسبة لتركيا، ستتطلق العلاقات بين واشنطن وأنقرة بلا شك بتوتر وخوف من الجانبين. من المحتمل أن تكون هناك مراجعة للسياسة الأميركية من قبل بايدن بشأن تركيا ، يتبعها عرض لإعادة ضبط العلاقات وتقييمها من جديد . لدى أنقرة قلقان رئيسيان بشأن العلاقات المستقبلية مع الإدارة الجديدة؛ الأول هو الخوف من أن بايدن سيعيد إدخال الديمقراطية وخطاب تعزيز حقوق الإنسان في العلاقات الثنائية. ثانيًا، تخشى أنقرة أن يحاول بايدن تقييد تركيا الصاعدة، ودعم سياسات احتواء تركيا في ليبيا وشرق البحر المتوسط وسوريا.

سيكون على رأس جدول الأعمال شراء تركيا لمنظومة S-400 من روسيا ، وما إذا كان بايدن سيفرض عقوبات (CAATSA) على تركيا، غير تلك التي فرضتها أميركا على رئاسة الصناعات العسكرية في منتصف كانون الأول الماضي. وفي حين أن الكونجرس لا يزال مُصرّاً على هذه المسألة، فمن المرجح أن تكون لدى إدارة بايدن مخاوف من أن فرض عقوبات على تركيا سيعزل حليفًا مهمًا في الناتو.

---

<sup>15</sup> المرجع ذاته.

تأمل أنقرة أن تتمكن من الدخول في مفاوضات بيد قوية ، باستخدام صواريخ إس -400 وعلاقات تركيا مع روسيا كوسيلة ضغط. لكن من المتوقع أن تسوء الأمور قبل أن تتحسن. بعد حرمان أنقرة من درع ترامب ، تشعر أنقرة بالقلق من أن يكون للكونغرس الأمريكي الغاضب يد أكثر حرية في اتخاذ إجراءات ضد تركيا. كل هذا يترك لأوروبا خيارين - أن تصبح اليد الغربية الثابتة في التعامل مع تركيا لموازنة الاضطرابات في محادثة أنقرة وواشنطن، أو أن تحذو حذو الولايات المتحدة، بما في ذلك إمكانية فرض عقوبات<sup>16</sup>.

هذه ليست مجرد مسألة ما إذا كان يمكن للاتحاد الأوروبي أن يفصل علاقته مع تركيا من نهج الولايات المتحدة. إنه سؤال وجودي أكبر حول ما تريد أوروبا أن تفعله مع تركيا. والجواب غير واضح. لا شك أن هناك خلافات في الرأي داخل أوروبا بشأن المسار الذي يجب اتباعه. تريد دول مثل فرنسا احتواء تركيا الصاعدة ، بينما تقبل ألمانيا طموحات تركيا كحقيقة من حقائق الحياة وتريد إنفاذ العلاقة الأوسع. في كل الاحوال يجب أن تبدأ أوروبا بتأمين موقف إجماع أفضل بين الدول الرئيسية.

## الاستنتاجات

على الرغم من أن بايدن سيكون على الأرجح أبطأ في التعامل مع الشرق الأوسط مما يتوقعه البعض، لأن المنطقة ستكون ذات أولوية منخفضة للإدارة الجديدة التي ستركز على التعامل مع جائحة كوفيد-19، ببعديها الداخلي والخارجي، والسياسة الخارجية الأمريكية تجاه آسيا وأوروبا والأمريكيتين، فإنه سيسعى إلى إصلاح الأضرار التي سببها ترامب في الشرق الأوسط، حيث يرى بايدن أن سياسات إدارة ترامب في المنطقة خلال السنوات الماضية زادت من مخاطر الحرب وسمحت لإيران بإعادة تشغيل برنامجها النووي، وجعلت آفاق «السلام» الفلسطيني-الإسرائيلي بعيدة بشكل متزايد.

قد يعتمد بايدن استراتيجية أكثر تماسكاً لإنهاء الحروب اللانهائية في المنطقة والعودة إلى الخيار الدبلوماسي للتعامل مع أزماتها، وتحديدًا مع طهران.

<sup>16</sup> نتائج الانتخابات الأمريكية: هل تتدهور العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة في ظل إدارة جو بايدن، موقع بي بي سي العربي، 12 تشرين الثاني 2020. <https://www.bbc.com/arabic>

ويمكن لبايدن البناء على إرث الرئيس ترامب في منطقة الشرق الأوسط في قضايا معينة، لا سيّما بعد نجاحه في تحقيق تغييرات في بعض الملفات الجامدة في المنطقة منذ سنوات.

لقد أصبح الشرق الأوسط "أقل أهمية بشكل ملحوظ" بالنسبة للولايات المتحدة ممّا كان عليه في السابق، على حد تعبير مقال أثار الكثير من النقاش في العام 2019، للكاتبتين تامارا كوفمان ويتس، المسؤولة السابقة في وزارة الخارجية في عهد الرئيس باراك أوباما، ومارا كارلين، المسؤولة السابقة في البنتاغون في عهد أوباما، حيث خلصت الكاتبتان في مقالهما إلى أن الوقت قد حان "لوضع حد للتفكير المتميّ" حول قدرة واشنطن على التأثير على الديناميات الداخلية أو الحسابات الخارجية للجهات الفاعلة في الإقليم".

هذه هي مهمة الشرق الأوسط التي سيرثها المرشّح الديمقراطي للرئاسة، جو بايدن، وسيكون في وضع أفضل كثيراً عندما يتبنّى اقتراح ويتس وكارلين "بالتحور" بعيداً عن الهوس الجيلي بهذه المنطقة المستعصية مقارنة بأوباما، الذي جرّته إلى المنطقة مرّة أخرى الحروب الأهلية في ليبيا وسورية وقيام دولة الخلافة المزعومة التي أسّسها تنظيم «داعش» الإرهابي في سورية والعراق. ومن المرجّح أن يستفيد بايدن من هذه الفرصة، وإن لم يكن بدرجة ترضي الواقعيين والتقدميين الذين يرغبون في رؤية الولايات المتحدة وهي تنهي وجودها العسكري تماماً في المنطقة.